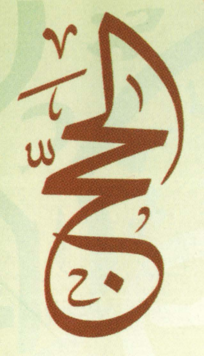


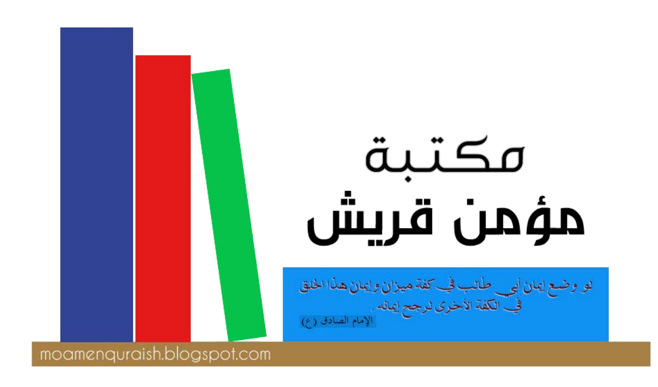


مع ضيوف الرحمن

لقاء مع

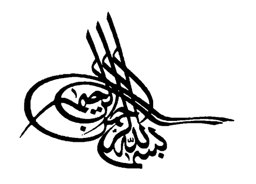
سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم





حـــــــوزة الإمام الباقر (عليه السلام)
للعلوم والمعارف الإسلامية
برعاية سماحة العلامة السيد جواد الوداعي
مملكة البحرين - باربار، هاتف : ١٧٧٩٥٩٤٩-٠٠٩٧٣
albaqer@albaqer.org / www.albaqer.org

المقدمة



والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

نضع بين يديك - عزيزي القارئ - حواراً أجراه الشيخ محمد جواد الشهابي مع سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في موسم الحاج ومن ساحة مكة المكرمة وذلك بالاتصال المباشر عن طريق الأنترنت، ونظراً لما يحويه هذا الحوار من توجيهات والتفاتات لطيفة قمنا بطباعته في هذه الوريقات علّنا نساهم في لفت نظر الحاج إلى ما يجب الالتفات إليه.

والحمد لله رب العالمين.

اللجنة الثقافية

افتتاحية سماحة الشيخ للحوار:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيب قلوبنا، ونور بصائرنا أبي القاسم محمد وآله الطاهرين.

أرحب بكم كثيراً، وأرحب بحجاج بيت الله الحرام من البلد الكريم البحرين ومن كل البلاد الإسلامية، وأهنئهم الفرص الروحانية الكبرى وأبارك لهم موسمهم الشريف، وأدعو لهم بأن يرجعوا إلى بلادهم بزادٍ كبير من الإيمان والتقوى والعمل الصالح والروح الجهادية التضحوية والخلق الدمث والتمسك الشديد بالإسلام.

الإعداد الروحي للحج:

السؤال الأول: كيف يمكن أن نؤهل أنفسنا لأن نكون من ضيوف الرحمن؟

جواب الشيخ: ضيافة الرحمن أمر كبير مهيب، والحضور بين يدي المطلق وعلى موائده الكريمة حضور يحتاج إلى إعداد هائل وتأهّل ظاهر، ومجرد

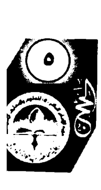
أن يشعر الإنسان بأنه ضيف للرحمن أو أن أبواب الرحمن مفتوحة لاستضافته. بجعله يدخل في أجواء جديدة، ورحاب روحية منفتحة - إذا كان على درجة من الوعي وصحة في جهازه الروحي -.

حيث أن ضيافة الرحمن تتطلّب تزيّناً بآداب الحضور بين يدي الله تبارك وتعالى كما وتطلب قلباً طهوراً..، وعقلاً منفتحاً..، ونفساً زكيّة..، وأخلاقاً رفيعة..، ونيّة سليمة..، وانقطاعا إلى الرحمن..، وثقة به..، وتوكّلاً عليه.

وتطلب الخـروج مـن عـلائق الدنيا الـتـي تأخذ بصاحبها بعيداً عن الله، إلى علائق من نوع جديد تكون وصلة العبد بـالله سبحانه وتـعـالـى عبوديّة وخضوعاً وخشوعاً للذّات المقدّسة.

أهميّة التوبة إلى الله:

وهنا أيضاً يُركَّز على أمر آخر وهو أن هذه الموائد بطبيعتها والعطاءات الثرة بمنزلتها الكريمة لابد معها من جهاز تلقٍّ سليم مستقبل منفعل، وهذا الجهاز هو جهاز العقل والقلب والـروح، فلابد من



رفع المستوى لشخص الحاج، ومجاهدة كبيرة على كل المسارات الإنسانية عنده من أجل أن يُعد نفسه ويعد جهاز التلقّي الروحي والفكري، وجهاز الاستلهام والاستيحاء والاستشفاف، من أجل أن يتأهل بدرجة ما لحضور موائد الرحمن وأن يكون ضيفاً من ضيوفه، فضيافة الرحمن لا يمكن أن ينالها مذنب مقيم على ذنبه، لأن الإقامة على الذنب والإصرار على الإثم تُنتج تباعداً عن الرحمن، ووقوفاً في وجه دينه، وإعراضاً عنه تبارك وتعالى، بينما الضيافة تتطلب إقبالاً واقتراباً.. فما لم يُقلع المذنب عن ذنبه، ويرجع عن إثمه ويتحلّى بالتوبة الصادقة، فإنه خارج عن ضيافة الرحمن.

ومن هنا تبرز أهمية التوبة لمن يريد أن يسافر لحجّ بيت الله الحرام ويتشرف بهذا المنصب الكبير؛ منصبُ أن يُستضاف من قبل الرحمن.

ضرورة الفهم الفقهي:

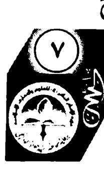
وينضم إلى ذلك لأبديّة الفهم الفقهي الذي يؤهل الإنسان لدخول دار الضيافة، وفهم الموائد الكريمة

المعروضة في موسم الضيافة، وما تتطلبه هذه الموائد من هاضمها، وما تعنيه هذه الموائد من تكريم، وما تمتلكه هذه الموائد من تغيير، وما تعطيه هذه الموائد من رفعةٍ.. وسموٍّ.. وقرب لله تبارك وتعالى. ومن منطلق فهمٍ طبيعة هذه الموائد وقيمتها يكون الإصرار على تغيير الذات وعلى التأهُّل الكفوء من أجل الاستفادة من هذه الموائد.

وجوب وضع الحج في مناخاته الطبيعية:

السؤال الثاني: سماحة الشيخ.. يحرص الكثير من الناس على أن تكون رحلتهم إلى الحج مريحة من جميع الجوانب ودون تحمّل أي عناء مهما كان بسيطاً في هذا السبيل. هل تعتقدون أن ذلك يمثّل حالة تَرَفيّة ناشئة من عدم وعي بأبعاد الحج ودلالاته؟

جواب الشيخ: الواقع أنّ العبادة كلُّ العبادة في الإسلام قامت على مواجهة روح الاسترخاء والترف وميوعة النفس والدلال. هذا نجده في الصلاة وفي الصوم والزكاة.. والخمس..، وكذلك في الحج



بصورة طافحة وظاهرة كل الظهور، حيث تظهر فيه روح مواجهة الانشداد والارتباط إلى الراحة والدعة والترف.

الحج دورة ترويضية على مواجهة الصعاب، وعلى قبول الصعوبات في طريق الله سبحانه وتعالى.

الحج دورة ترويضية صممتها يد الإبداع الإلهي لرفع كفاءة النفس التي كثيراً ما تهبط بها الحياة العادية، خاصة في ظل الأجواء المدنية المترفة، وما تفرضه حضارة المادة من تأثير سلبي على قوى النفس وتحملها وطاقتها على الصبر في طريق الجهاد وذات الشوكة والأخذ بالنفس في اتجاه الله سبحانه وتعالى. فالحج جاء ليعالج حالة الاسترخاء وحالة الذوبان في مشتهيات الأرض ورغائبها، ولإنتشال النفس من حالة الاستغراق في الدنيا.

وعليه فإن تكثيف الأجواء المادية والتَرفيه في الحج عملية مضادة جداً لما صُمم من أجله الحج، ولما جاء من أجله الحج في الإسلام لتربية الإنسان المسلم الرسالي القادر على مواصلة الدرب درب ذات الشوكة، وهو

درب صعبٌ ومتحدٍ ومرهق، والمسلم في كل حالاته، وفي كل ساحة جهاده يواجه تحديات كبرى، ويواجه عقبات وصعوبات، ولا يصنعه إلا الحج الجاد.. والصلاة الجادة.. والصوم الجاد...، أما الحج الترفي والصلاة الترفية - التي تُستغرق في أجواء الاسترخاء وأجواء الراحة والمظاهر المادية الصارخة -، إنّ مثل هذه الصلاة ستفقد تأثيرها، وإن مثل هذا الحج سيفقد تأثيره الذي أُريد له أن يكون عليه من قبل الله سبحانه وتعالى.

الأسف على تحول الحج إلى موسم ترفي:

الحج لا يكون صَنّاعاً إلا حين يحتفظ بطبيعة أجوائه، وحين تكون مناخاته مناخات إيمانية روحية بعيدة عن مظاهر المادة الصارخة وعن مظاهر الاسترخاء والترف والتقلب في الشهوات. إنها لخسارةٌ كبرى أن يتحول موسم الحج إلى موسم ترفي، وإلى موسم نزهة، وإلى موسم لذّات بدنية، وطّلب للمسكن الفخم.. والمأكل والمشرب من النوع الترفي..؟!

والنية هي التي تصنّف الحاج علواً أو دنواً:



السؤال الثالث: شيخنا.. هل لكم أن تصنفوا حجاج بيت الله الحرام؟

جواب الشيخ: حجاج بيت الله الحرام تصنفهم نياتهم، ومستوى إحساسهم بواقع العبودية وروح الاستجداء للرحمة الإلهية والتوبة. فمن كان على نية صادقة وحسٍّ عميق بواقع عبوديته، وأنه في موقع الاستجداء للرحمة والتوبة من الله عزّ وجل عليه، فإنه بما له من هذا الحس والنية وبما يترشح عنهما من أدب جمّ بين يدي الله عز وجل سينصنع كبيراً. والإنسان مستحيل عليه أن ينصنع كبيراً إلا من خلال إحساسه بعبوديته وانسجامه العملي مع هذا الإحساس.

يوجد طريق واحد فقط لصناعة الإنسان الكبير، فرداً كان أو مجتمعاً، وهذا الطريق الواحد هو طريق أن نعيش عبوديتنا بصدق وعمق لله تبارك وتعالى.

فمن هذا الطريق سيرجع الحجاج كباراً من الحج، ومصنوعون صناعة فولاذية، وسيكونون أكبر من كل التحديات، وسيكونون ثابتين على الخط، وهم الذين يحجون من خلال إحساس عميق بعبوديتهم لله تبارك

وتعالى. الآخذون بذواتهم على طريق الفرار إلى الله عزّ وجلّ من كل ما يعيق عن التوجه إليه، ومن كل ما يرصد حركة الإنسان ليعيقها في اتجاهها إلى الله عزّ وجل، هؤلاء سيكسبون كثيراً، سيتبوءون في الدنيا مواقع العزة ومواقع الكرامة، وسيعيشون جنّة في شعورهم، وجنّة في تفكيرهم، وجنّة في ثقتهم بالله واطمئنانهم لدينه، وسيحصلون على رضوان من الله عز وجلّ، ولهم منازلهم الرفيعة هناك في الجنة.

فكلما خُفِّفَ الارتباط بالدنيا من الحاج، كلما ارتفع عند الله، وكلما أدّى هدف الحج وسمى بنفسه. وكلما انشد إلى الدنيا وساءت نيته فإنه يسلك طريقاً معاكساً لطريق الحج.

أعزائي: إنّ من الحجاج من يرجع إلى بلده مرحوماً مقبول العمل، ومنهم من يرجع إلى بلده ملعونا مرفوض العمل.

من حج لله واستقام مع نيته كان المقبول عند الله والرابح في الدنيا والآخرة، ومن حج لغير الله - ولا شك أنّ هناك عدداً من الناس يحج لغير الله، يحج

لأغراض دنيوية – فإن ما يكسبه من هذا الحج هو نفس ما حج من أجله.

خلق الحاج.. وضرورة الأخلاق في الدعوة لله:

السؤال الرابع: نعلم أنّ عنصر الأخلاق هو عنصر مهم لبناء شخصية المؤمن، فما هي مظاهر ترسيخ هذه الصفة والتأكيد عليها في هذه الدورة الإيمانية على طريق إعادة بناء هذه الشخصية وترميمها؟

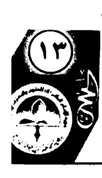
جواب الشيخ: إننا نذهب للحج كمسلمين، وقد نذهب أشتاتاً، وقد نذهب للحج على درجة من الغلّ في اتجاه بعضنا البعض...

ولكن إذا أردنا أن نرسّخ العنصر الأخلاقي الذي يهتم موسم الحج بتركيزه في نفوس المسلمين، علينا هنا أن نتعالى على كل الخلافات الدنيوية، وأن نتعلم كيف نتّحد وكيف نتلاقى، وكيف نتصافى في هذا الموسم الكريم.

فقد تكون مستويات الحجاج مختلفة ثقافياً ومالياً وغير ذلك، ولكن إذا أردنا أن ننصهر ونذوب في دروس الحج ونمتص هذه الدروس الأخلاقية علينا أن نستجيب لدعوة اللّه تبارك وتعالى هنا، بأن نعيش الأخوّة الإيمانية ونلغي كل الفواصل الطبقية التي بيننا من أي نوع كانت، بالكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة، والنية السليمة، وبالتزاور.. والتحابب.. والتفاهم.. والتسامح..، بطلب السماح من الطرف الآخر عما قد يكون في ذمّتي..، كل ذلك فعاليات مطلوبة في الحج وغير الحج، وهي أكثر مطلوبية في الحج، وهي تصنع حبّاً وألفة وتُذهب بالضغائن وترتقي بمستوى الأخوة من ناحية عملية.

نحتاج إلى الأخلاق رسولاً يتقدمنا في الدعوة للّه سبحانه وتعالى، يتقدم الكلمة..، ويتقدم الحُجة..، ويتقدم النصيحة...

الأخلاق حين تكون الرسول الأول من الداعية فهي تفتح الطريق للكلمة ونفوذها، تفتح القلوب.. والعقول.. والنفوس..، وتجعلها تشتهي أن تسمع،



وتجعلها تقبل أن تسمع، وتجعلها تلتذّ أن تسمع. نحن محتاجون إلى الأخلاق وهي الأمر الذي يتحدّانا في كل الأوقات، فمن استطاع أن يكون على أخلاق تقرُب من أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي هي أخلاق القرآن فقد قرُب من رسول الله ومن الله (سبحانه وتعالى).

مشكلة الحفاظ على معطيات الحج:

السؤال الخامس: كيف يستطيع المؤمن أن يحافظ على معطيات الحج الروحية في حياته بعد الانتهاء من الحج والعودة إلى بلده؟

جواب الشيخ: قد يوفّقُ الله العبدَ لأن يستفيد دروساً كثيرة من الحج، وأن يدفع الحج بمستواه الروحي إلى الأمام، وقد يُوفّق العبد إلى أن يتخلّص من كثير من سلبياته في موسم الحج، ولكن المهم أن تبقى المكتسبات.

فليس المهم أن أربح؟! وإنما المهم كثيراً أن أحافظ على هذا الربح، فكثيراً ما تحدث قفزات روحية أو

فكرية أو نفسية في حياة الشخص إلا أنه لا يحتفظ بها وقد يخسرها سريعاً بتفريط منه.

فالمهم لمن يوفَّق إلى مكتسبات جديدة في حجه - على مستوى عزمه وإرادته وفكره وخبرته وروحه وأخلاقيته- أن يعمل على إدامة هذه المكتسبات.

العناصر التي من خلالها نحافظ على مكتسبات الحج:

على الحاج أن يتذكر - وهو ينتهي من موسم الحج- عدة أمور من شأنها أن تحفظ له ما اكتسبه من الحج وهي:

أولاً: استشعار ربوبية الله دائماً:

أن يتذكر بأن عبوديته لله ليست مؤقتة، وأن ربوبية الله عزّ وجل له ليست مؤقتة، وأنه عبد دائماً وأن الله رب دائماً. وبتعميق هذا الإحساس، والاحتفاظ به وتركيزه في أعماق النفس، وأغوار الشعور، يكون حافظاً لمكتسبات الإنسان الروحية والخلقية، ويكون مدعاة دائماً لأن يستقيم الإنسان على درب الله. فما ينقصنا في حسن التعامل مع الله عز وجلّ ومراعاة



حقوقه هو أن نعيش هذا الشعور بصدق وأن يكون هذا الشعور حاضراً عندنا دائماً وهو شعورنا بالعبودية لله وبربوبية الله تبارك وتعالى الربوبية المطلقة.

ثانياً: إدراك أن أرباح الحج لا تعوض بثمن:

على الحاج أن يتذكر أن الربح الذي اكتسبه من موسم الحج من نوع خاص غالي الثمن، وكبير جداً لا يصح أن يضيع مطلقاً، فليست الفرصة التي توفَّر عليها فرصة دنيوية، وليس الربح الذي اكتسبه ربحاً دنيوياً قد يُفرِّط به مُفرِّط.

فإذا صح التفريط بربح دنيوي - وهو غير صحيح في الحالات العادية - فإنه لا يصح بأي حال من الأحوال أن يفرَّط في الربح الأخروي. وذلك أنّ الربح الأخروي يعني أن الذات قد سمت، ويعني أن الذات قد حققت قفزة في وجودها، وأنّ قرباً من العبد لله عز وجل قد حصل، وهذا القرب هو أغلى ما يُبذَل من أجله العمر، وأولى ما يُبذَل من أجله كل غالٍ ورخيص.

فتذكُّرُ أن هذا الربح ربح من نوع خاص، وربح من نوع لا يباع بالدنيا، يجعل الحاج يتمسك بهذا الربح،

وأن يبقى عند مستواه الروحي الذي توفّر له جديداً من موسم الحج، وأن يحاول كل ما استطاع أن يرتفع بمستواه، تغريه في ذلك مكتسبات الحج، ويغريه ربح الحج، ولذة هذا الربح، ليحاول الارتقاء بمستواه بدرجة أكبر، مواصلاً رحلته إلى الله سبحانه وتعالى، لينصنع في كل يوم بوجودٍ جديدٍ كبيرٍ عملاقٍ، أكبر مما كان.

ثالثاً: الالتفات إلى أنّ فرصة الحج لا تتكرر كثيراً:

إن فرصة الحج قد لا تتكرر وإن بقي في الحياة الدنيا، فتكون هذه الفرصة هي الفرصة الوحيدة أمامه والتي تهيأت له، وبذلك لا يستطيع أن يولد من جديد من حيث التخلص من الذنوب (الشيء الذي يعطيه الحج المقبول)، ولو وافق الواقع أن حج هذا الحاج قد قُبل وأنه لن يحج ثانية، فهو – الآن - قد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فمتى يولد ثانية بريئاً من الذنوب.. نظيفاً من الآثام.. طاهراً من الخطايا..؟!

إن مثل هذا الربح لا يصح مطلقاً في نظر عاقل



ومؤمن بالله عز وجلّ أن يفرِّط فيه.

رابعاً: ترجمة المكتسبات إلى واقع يعاش بشكل دائم:

لا بد أن نحوِّل سريعاً وفي مبادرة عاجلة هذه المكتسبات التي نشعر بها في وجودنا، من خلال أخلاقية جديدة، ومن خلال تخلص من الذنب، وتفوق على الضعف النفسي، ومن خلال عداوات بنيناها من أجل الدنيا وهدمناها في الحج.. من أجل صداقات شيدناها في الحج من أجل الله..، - كل ما نكتسبه في الحج على مستوى أخلاقنا وعلى مستوى تفكيرنا وعلى مستوى قدراتنا الروحية وارتباطنا بالعبادة -، علينا أن نحوله سريعاً إلى سلوك يومي دائم..، وبتحويلنا هذه المكتسبات إلى سلوك يومي دائم سنجد أننا في حالة انشدادٍ لهذه المكتسبات، وثباتاً ورسوخاً لها في النفس، وهذا يتيح للإنسان أن لا يخسر مكتسباته.

وفقكم الله لخير العمل وجعلكم دائماً سعداء في الدنيا، ووفقكم لسعادة الآخرة ولقّاكم الله حجّاً مقبولاً وسعياً مشكوراً وعملاً مبروراً.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

